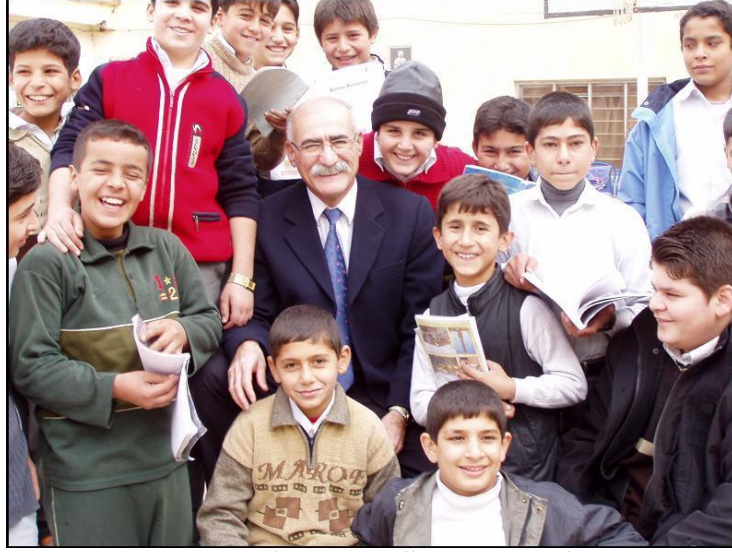


عن تدريس اللغة العربية في إقليم كردستان

فهمي كاكهيي



(كاتب المقال مع طلاب مدرسة مولوي الابتدائية للبنين في هولير نهاية عام 2004)

منذ أن نشر المفكر العربي فهمي هويدي مقالته الموسومة بـ : (أكراد العراق يلعبون بالنار) في جريدة الشرق الأوسط يوم 30 آذار 2005 ، متهما الأكراد بآتهامات باطلة و بعيدة عن الواقع منها قوله و بالحرف الواحد من أن: (تعلم اللغة العربية يمنع في المناطق الكردية) بدأت أقلام كثيرة تتناول هذا الموضوع متهمين الكورد بالعداء للغة العربية و الدين الإسلامي الحنيف، و بما أن السيل بلغ الزبي كان لا بد من الإجابة على تلكم الإتهامات الباطلة و المغرضة و دحضها إظهارا للحقيقة.

في شهر كانون الأول سنة 2004 كنت ضمن وفد من الخبراء و التربويين المدعوبين من قبل مجلس وزراء إقليم كردستان لتفقد المدارس ودراسة سير العملية التربوية بغية تقديم النصائح و الإرشادات و تبادل الخبرات من أجل إدخال بعض الإصلاحات على نظام و مناهج التربية و التعليم، و قد كنت أحد أعضاء الوفد كوني قد عملت في التدريس في الوطن كما في الخارج، علاوة على كوني من مؤلفي الكتب المدرسية في السويد.

خلال تواجدنا في هولير زرنا جامعة صلاح الدين، المعهد الفني، بعض المدارس الأبتدائية و المتوسطة، العادية منها و النموذجية، في هولير كما في عنكاوة. إلتقينا بالسيد وزير التربية الأستاذ عبدالعزيز طيب و بخبراء وزارة التربية و ناقشنا أموراً كثيرة، كما إستقبلنا السيد رئيس وزراء الإقليم الأستاذ نيچيرقان بارزاني و إستمع إلى آرائنا و مقترحاتنا بإشفاق و رحابة صدر.

شرح لنا السيد الوزير بإيجاز سير العمل في الوزارة و سبل التطوير و إنجازات الوزارة في الميادين المختلفة و مشاريع التحديث و التجديد و الإستفادة من تجارب الدول العربية منها و الأوروبية، لا أرى هنا ضرورة لكي أكتب بالتفصيل عن كل شئ فإلقصم بالدرجة الأولى هو الرد على الأباطيل و الشائعات.

لغة الأم

إن أهمية لغة الأم تكمن في كون اللغة أداة للمحافظة على الثقافة و الشخصية و الهوية القومية للفرد. لغة الأم هي مفتاح التراث الثقافي الإنساني و الثقافة و الأدب القومي. لغة الأم هي أداة لتقوية الثقة بالنفس و بناء شخصية الفرد، كما أنها واحدة من أهم الوسائل فعالية لبناء الإلتزام الإنساني و الوطني و القومي لدى الفرد. إن التواصل أو الإلتزام القومي و الوطني هي مسألة لها خصوصياتها و شرائطها و أسسها، و الأساس المهم للإلتزام القومي هي الثقافة القومية، و أداة الثقافة القومية هي اللغة، فبدون اللغة تتعرض هذه الثقافة لخطر الزوال و الإنقراض، فلا يستطيع المرء أن يمتلك لغة قومية معينة كلغة أولى و يتتف بثقافة قومية أخرى، فإن

حدث هذا نرى بأن ثقافة القومية الأخرى ستسيطر تدريجياً على الثقافة القومية للفرد و بمرور الزمن يخسر المرء ثقافته نتيجة إكتسابه ثقافة أجنبية، و من هنا تكمن أهمية لغة الأم. إذن فلكي نربي أولادنا تربية وطنية و قومية إنسانية لا بد من أن نعلمهم لغتنا و نثقفهم بثقافتنا و نسلحهم بها لكي يكبروا و هم يملكون شخصية و هوية إنسانية وطنية قومية، و هذه الثقافة التي أتكلم عنها تجد نفسها في: العادات و التقاليد الإجتماعية، الأعياد و المناسبات القومية و الوطنية و الدينية و الإجتماعية، القصص و الأساطير الشعبية، الموسيقى و الغناء القومي، التاريخ و الجغرافيا و الدين، الحياة و العلاقات الإجتماعية و جوانب أخرى كثيرة.

بناءً لما ورد أعلاه نرى إنه من الضروري جداً أن يتعلم كل طفل و يدرس بلغة الأم، الطفل العربي يدرس بالعربية، التركماني بالتركمانية، السرياني بالسريانية، الكوردي بالكوردية و هكذا.. إن هذا هو بالضبط ما يتم تطبيقه في إقليم كردستان، فهناك مدارس كوردية، و أخرى عربية، و أخرى تركمانية، و مدارس سريانية و أخرى أرمنية، أما ما يدعيه البعض من أن الإدارة الكوردية تفرض اللغة الكوردية على القوميات الأخرى فهو محض إفتراء لا أكثر، فالمدارس التركمانية مثلاً تستعمل الأحرف اللاتينية في التدريس بعكس المدارس الكوردية التي تستعمل الأحرف العربية. بالطبع هناك مدارس خاصة تدرس بلغات أجنبية مثل الإنكليزية و الفرنسية و لكي لا يذهب الظن بعيداً فإن المدرسة التي تدرس بالإنكليزية هي أساساً من لبنان حسب عقد مع مدرسة الشويفات، و هناك مدرسة أخرى تدرس بالإنكليزية و كوادرها من تركيا.

اللغة العربية

إن ما يدعيه السيد فهمي هويدي من أن: (تعلم اللغة العربية يمنع في المناطق الكردية) لا أساس له من الصحة بناتاً، كان من الأجدر بالسيد فهمي هويدي أن لا يتسرع بإطلاق أحكامه قبل التفحص و التأكد. إن اللغة العربية تدرس في المدارس الكوردية بمعدل خمس حصص في الاسبوع و بعكس ذلك حيث لا تدرس اللغة الكوردية في المناطق العربية إطلاقاً، و هذا خطأ كبير فيما أن اللغة الكوردية هي لغة رسمية إلى جانب اللغة العربية فإنه يحق للكورد أن يسألوا لماذا لا تدرس الكوردية في تلك المناطق فحتى في زمن (الدكتاتور) صدام حسين كانت اللغة الكوردية تدرس بمعدل حصتين في الاسبوع، و من هنا أرى أنه من الضروري أن تتباحث الإدارة الكوردية مع حكومة بغداد من أجل تدريس اللغة الكوردية في المناطق العربية، إن إستعمال سياسة الأخ الكبير و الأخ الصغير لا تخدم وحدة الوطن.

الكتابة باللاتينية

إن ما يروج له من أن الكورد سوف يتخلون عن الأبجدية العربية لكي يكتبوا بالحروف اللاتينية ليس موضوع الساعة، ففي نقاشاتنا مع المسؤولين لم يتطرق أحد بناتاً إلى هذا الموضوع، صحيح أن هناك توجهات كهذه بين بعض الكتاب الكورد، لكن هذه التوجهات لا تتعدى كونها شخصية. إن ما يسمى بالحروف العربية هي أساساً ليست عربية كما يتصورها البعض فهي متشعبة من الحروف الأرامية السريانية الفينيقية الأصل، و هناك أقوام كثيرة تستخدم هذه الحروف، علاوة على هذا فإن الكورد قد غيروا كثيراً من هذه الأحرف لكي تلائم الأصوات الموجودة في اللغة الكوردية، فهم قد حذفوا بعض الأحرف و أضافوا أحرفاً أخرى لكي يصبح مجموع الأحرف 35 حرفاً بدلاً من 28 ، و إنك لو أعطيت نصاً كوردياً مكتوباً بالأحرف (العربية) لعربي ليقراها لما تمكن من ذلك. بالإضافة إلى هذا فإن لهذه الأحرف خصوصية لا تملكها الأحرف اللاتينية، إنها أحرف جميلة تشبه النقوش و الزخارف و هذا ما تفتقده الأحرف اللاتينية. أما إذا أخذنا بنظر الإعتبار المشاكل التي تتعرض لها اللغة الكوردية فيما إذا كتبت باللاتينية بدلاً من العربية لوجدناها كثيرة، في حال أنه لا توجد هناك مشاكل تذكر عندما نستعمل الأحرف العربية، ترى ما هي الأسباب التي تجعلنا نترك الأحرف العربية لنتحول إلى اللاتينية؟ إذن فإن الإدعاء بأن الكورد يريدون ترك الحروف العربية لكي يبتعدوا عن العرب و الدين الإسلامي الحنيف هي واحدة من إفتراءات العنصريين المعادين الكورد.

حول تغيير المناهج

إن الذين عملوا و ما زالوا يعملون في التدريس يعرفون بأن المناهج العراقية قديمة جداً حتى أن بعض الكتب المدرسية لم تدخل عليها تغييرات خلال العقود الثلاثة الماضية، و هذا ظلم كبير بحق التربية و التعليم. إشتكى أحد الأساتذة من قدم المصادر التي تستخدم في إحدى الكليات بجامعة صلاح الدين قائلاً: (مصادرنا ترجع إلى سبعينيات القرن الماضي، ليس لدينا مصادر جديدة، لقد كتبنا قائمة بكتب جديدة لكنها لم تصلنا لحد الآن).

إن تغيير المناهج بين حين و آخر مسألة طبيعية و تدخل ضمن تطوير العملية التربوية في كل بلدان العالم، بما يتعلق و الدروس العلمية فليس هناك إعتراض يذكر من قبل أحد، أما الإعتراض فيأتي عندما يتحدث المرء عن مواد الإجتماعيات. هؤلاء يعترضون على تغيير التربية الوطنية مثلا دون أن يكون لهم أدنى علم بعالم المدرسة، دون أن يعرفوا بأن التربية الوطنية قد ألغيت أساسا و حل محلها التربية المدنية، حيث يتم تدريس هذه المادة إبتداء من الصف الثالث الإبتدائي، القصد منه تعريف الطالب بأساسيات المجتمع المدني، ففيها مواضيع عن تحمل المسؤولية، الخصوصيات الفردية و المحافظة عليها، كتمان السر، المشاركة في إتخاذ القرارات، السلطة و الحكومة و القانون، و كل هذه المواضيع مرتبطة بحياة و بيئة الطالب. إنها أسس سلمية للولاء للمجتمع المدني بدلا من الولاء للسلطة و الحاكم و الحزب القائد كما كان الحال مع كتاب التربية الوطنية.

يقول بعض الجاهلين بالمناهج المدرسية بأن الكورد قاموا بتغيير التاريخ و الجغرافيا لكي تصب في مصلحة الأحزاب الكوردية، إنني في الحقيقة أرثي لحال هؤلاء فلو سألهم المرء السؤال البدائي الأول في الجغرافيا لعجزوا عن الإجابة عليه. لو سألنا أي تلميذ كان في أية بقعة من العالم: أين يقع مركز الكرة الأرضية لجاوبنا قائلا: (النقطة التي أفق عليها). و لكي أوضح لهؤلاء أقول بأن المكان الذي يعيش فيه الطالب يعتبر مركز الأرض و من هذا المركز يبدأ الطالب بدراسة الجغرافيا. حتى أنه في الكثير من الدول يبدأ الطلاب و أعتبارا من الصف الثالث بدراسة جغرافية الصف الذي يدرسون فيه، ثم الحارة و المدينة فالمحافظة فالبلد الذي يعيشون على أرضه. إذن من الطبيعي جدا أن يدرس الطلبة الكورد جغرافية إقليم كردستان قبل أن يدرسوا جغرافية أية منطقة أخرى. كذلك من الطبيعي أن يدرسوا جغرافية الأجزاء الأخرى من كردستان بعد أن يدرسوا جغرافية العراق، بنفس الطريقة التي يحق للطلبة العرب أن يدرسوا جغرافية الوطن العربي، بل إنني أضيف و أقول بأنه من الضروري أن يدرس الجميع جغرافية تركيا و إيران كونهما بلدان جاران مسلمان، ثم يأتي الدور إلى جغرافية أوروبا و العالم. وما يصح للجغرافيا يصح للتاريخ أيضا.

أما ما يقال من أن الكورد يريدون أن يبتعدوا عن التاريخ العربي و الإسلامي فهذا أيضا إدعاء باطل فيما إذا علمنا بأن تاريخ الكورد مرتبط بالتاريخ العربي و الإسلامي، فلا يستطيع الكورد دراسة تاريخهم بمعزل عن تاريخ العرب و الذي هو تاريخ الإسلام أيضا.

بما يتعلق و درس الدين فلم يحدث هناك تغييرات كبيرة تذكر، ففي إقليم كردستان هناك شئ من حرية الأديان و لهذا فيحق لغير المسلمين دراسة أديانهم في المدرسة كالأيزيدية و المسيحية، شخصا أرى أنه من الضروري فصل السياسة و الدين عن المدرسة و إجراء تغييرات على مادة التربية الدينية لكي تتحول إلى تاريخ الأديان فيقرأ الطلاب (علاوة عن الدين الإسلامي) عن الأديان الأخرى أيضا و خصوصا الأديان المتواجدة في المنطقة كجزء من حوار الحضارات.

ختاما أقول للأخوة الذين تخندقوا ضد الكورد أن التعصب يولد التعصب و التسامح و الأنفتاح يولد مثلهمما، و لا تجبرونا أن نتحول من موقع الدفاع إلى موقع الهجوم.

السويد

2005/6/17

fahmikakae@yahoo.se